ليزوروا فيه قبر المحارب الصهيوني الاول ترمبلدور الذي كان اول من رفع السلاح في وجه العرب عندما قاد في ١٩١٩/٣/٢١ اول حملة للسيطرة على نهر الليطاني وسفوح جبل الشيخ وقتل شمال صفد . والحق رجال العاصفة ورجال قوات التحرير الشعبية ومن تمردوا من رجال الجيش الاردني أول هزيمة بالصهيونيين ، واثبتوا توفر عنصر الامن والدفاع عن القاعدة الآمنة ، ومع غروب شمس يوم الخميس ١٩٦٨/٣/٢١ واشراق شمس يوم الجمعة بدأت مرحلة انماء الذات للثورة الفلسطينية وارساء قواعدها ، مرحلة الوقوف على الارض لاول مرة منذ عشرين عاما . وتسلمت قيادة الثورة لمدة سنتين التوجيه والسيطرة على الاحداث والتطورات في الشرق الاوسط .

لماذا خسر الاسرائيليون معركة الكرامة ؟ الجواب بدون شك لان الذي واجههم هناك هو الانسان الفلسطيني ، وليس الدبابة او الطائرة . لانهم واجهوا قطاعا من المناضلين يملكون خصائص وصفات الجيش الشعبي . وانا لنجد انه من المفيد جدا بمناسبة ذكرى معركة الكرامة التي ضحى فيها بيوم واحد ٩٢ مناضلا بحياتهم من أجل فتح الثغرات في السد الاسرائيلي العربي ، ان نقف لنلقي نظرة على خصائص الجيش الشعبي .

مدخل لفهم خصائص الجيش الشعبي

من البديهي انه لا يمكن تحقيق غاية ما بأداة تناقض تلك الغاية . مواصفات الجيش الشعبي اذن تنبع من الهدف المنشأ من أجله الجيش الشعبي . القوات المسلحة هي أداة عنف بيد الطبقة الحاكمة ، وهي بناء تحتي لتلك الطبقة ينعكس فيها كل اخلاق وسلوك وعقلية وافكار البناء الفوقي للطبقة . ان هذه الحقيقة يمكن استنباطها ببساطة من خلال ملاحظة العلاقة والترابط القائمين عبر تاريخ البشرية بين طبيعة النظام الاقتصادي وانعكاسه على طبيعة ومهام جيش ذلك النظام . لقد مرت الانسانية عبر تاريخها الطويل بمرحلة الرق (العبودية) ومرحلة الاقطاع والرأسمالية والامبريالية والاشتراكية . ومن الواضح ان جيوش عهد الرق والاقطاع ، وكذلك الجيوش الرأسمالية تختلف من حيث بنيتها الطبقية ومبادىء تعبئتها وتدريبها وتسليحها . وانطلاقا من هذه الحقيقة نجد لينين في مؤلفه الشهير « سقوط بورت آرثر » يسبق الاحداث عام ١٩٠٥ ويتنبأ بأن تبدل الدور اليدوي للحرب بالدور الآلي مرتبط بتحول الرأسمالية الى الامبريالية . وظهر التجسيد العملي لذلك التنبؤ في الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) والتي كانت بداية فترة الامبريالية . وحتى تتضح هذه النقطة الهامة لنلق نظرة سريعة عبر التاريخ على طبيعة الجيوش عبر التاريخ .

١ — جيش مجتمع العبودية (الرق) : السمة الاساسية لهذا المجتمع انقسامه الواضح الى عبيد ومالكي عبيد . ولذلك نجد الجيش وقفا على طبقة مالكي العبيد . ففي أثينا مثلا كان السكان يقسمون الى احرار وعبيد . واما الاحرار فيقسمون الى اربع زمر على أساس مقدار ملكيتهم للارض ودخلهم من هذه الملكية . وكانت الزمرة الاولى والثانية تشمل كبار مالكي العبيد والارستقراطيين الزراعيين والتجاريين ، وكان هؤلاء يؤدون **خدمتهم في الخيالة** . اما الزمرة الثالثة فكانت تتالف من المواطنين المتوسطين وكان هؤلاء **يؤدون الخدمة في المشاة الثقيلة** . اما الزمرة الرابعة فكانت تتالف من الفقراء الذين يملكون دخلا بسيطا ، ولا يملكون ارضا على الاطلاق ولكنهم من الاحرار فكانوا يخدمون في **المشاة الخفيفة والاسطول**(١) .

ان الطبيعة الطبقية تظهر بوضوح . فالى جانب منع العبيد من الانتماء للجيش ، يتجسد توزيع طبقات الاحرار على مختلف الاسلحة حسب أهميتها . وذلك حتى يصبح الجيش

---

١ — **تاريخ فن الحرب** ، الجنرال ستروكوف ، ص ٤٤ .